الإمـــام ســـليم البشـــري

(١٨٨٢-١٩١٦م=١٢٤٨-١٣٣٥هـ)

صاحب الرأي الحر

obeikandl.com

«إن رأيي لي، ومنصبي لهم، ولن أُضحي لهم بما يدوم في سبيل ما يزول».

هذه العبارة الدالة على تمسك صحبها برأيه وتقديسه لكلمة الحق، وعدم تنازله عن قولها، حتى ولو ضحى من أجل ذلك بأرفع المناصب، حتى ولو كان المنصب هو شيخ الأزهر. قالها العالم «الإمام سليم بن أبي فراج البشري»، الإمام رقم ٢٥ في تولي مشيخة الأزهر. الذي قدم استقالته من هذا المنصب الهام والحساس عندما وجد أن ثمن بقائه في المنصب هو التنازل عن رأيه والانصياع لرغبة الحاكم.

هو الشيخ سليم بن أبي فراج بن السيد سليم بن أبي فراج البشري، نسبة إلى «محلة بشر» من قرى شبراخيت بمحافظة البحيرة، وهو من مواليد عام ١٢٤٨هـ (١٨٨٢م). توفي والده وهو في السابعة من عمره، فكفله أخوه الأكبر «عبد الهادي البشري» ولمّا بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن الكريم وجوده.

ثم قَدِمَ إلى القاهرة، وأقام عند خانه «بسيوني البشري» أحد علماء ضريح السيدة زينب -رضي الله عنها- فتلقى عنه مبادئ العلوم، وظل في كنفه عامين درس فيهما عليه وعلى غيره من العلماء قراءات القرآن الكريم. ثم التحق بالأزهر الشريف، واتصل بكبار العلماء، حيث درس الفقه على مذهب الإمام مالك. ودرس بالأزهر تسع سنوات كاملة، حيث تلقى العلم على يد عدد من العلماء الأجلاء، منهم: الشيخ الخناني، والشيخ عليش، والإمام الباجوري وغيرهم.

ولمّا مرض شيخه «الخناني» أوكل إليه أن يقوم مكانه بالتدريس لما أنس فيه من علم، وأقبل الطلاب على دروسه، ونبغ في علوم كثيرة، وكان يجد لكل مسألة حلا، حتى قصده العلماء يحضرون دروسه مع الطلاب، ونبغ في علوم الحديث، نبوغاً كبيراً أبلغه درجة كبار المحدثين. ثم عُين شيخاً ونقيباً للسادة المالكية، وهو من أكبر مناصب الأزهر.

ولمّا اتجهت النية إلى إصلاح الأزهر في عهد الشيخ «حسونة النواوي»، كان في مقدمة العلماء الذين وقع عليهم الاختيار لعضوية مجلس إدارة الأزهر، مع «الشيخ

محمد عبده»، و«الشيخ عبد الكريم سلمان»، وغيرهم من كبار العلماء، الذين أُوكل إليهم مهمة إصلاح وتطوير الدراسة بالأزهر ليواكب علوم العصر ومستجدات الحياة الحديثة. فكان عضواً بارزاً. ووقع عليه الاختيار ليكون شيخاً للأزهر عام ١٩٠٠م (١٣١٧هـ).

مواجهة:

وحدث أثناء توليه مشيخة الأزهر أن اختير الشيخ «أحمد المنصورى» شيخاً لأحد الأروقة بالأزهر، ولم يكن الحاكم راضياً عن هذا الشيخ، فأوعز إلى فضيلة الإمام الأكبر بالعدول عن هذا القرار، فأبى الشيخ الرجوع عن اختياره، وقال:

«إن كان الأمر لكم فى الأزهر دونى فاعزلوه، وإن كان الأمر لى دونكم، فهذا الذى اخترته، ولن أُحيد عنه».

انتهز الدساسون الفرصة وأوغروا صدر الخديوى عباس عليه، فأرسل إليه من يقول له: «إن تشبثك برأيك قد يضرك فى منصبك». ولمّا رأى «الشيخ سليم» أن هذه رسالة تهديد مباشرة، صمم على رأيه ورفض التراجع عنه وقال قولته المشهورة: «إن رأيى لى، ومنصبى لهم، ولن أُضحى لهم بما يدوم فى سبيل ما يزول». وقدم استقالته، فقبلت فى اليوم الثانى من ذى الحجة سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٤م).

وعُين بدلاً منه فى منصب شيخ الأزهر «الشيخ على بن محمد البلاوى»، الذى قضى فى المنصب حوالى ثلاثة أعوام، أى حتى عام١٣٢٣هـ، حيث قدم استقالته، وحل محله «الشيخ عبد الرحمن الشربينى»، الذى لم يقض بالمشيخة إلا حوالى عام واحد واستقال من منصبه سنة ١٣٢٤هـ، وأُعيد «الشيخ حسونة النواوى» كشيخ للأزهر حتى عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م)، وعندما استقال، تقرر إعادة تعيين «الشيخ سليم البشرى» كشيخ للأزهر للمرة الثانية عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م).

الحزم في الإدارة:

وفى عهده طُبق نظام امتحان الراغبين فى التدريس بالأزهر، واجتاز هذا

الامتحان كثيرون من العلماء، وكان رحمه الله حازماً فى إدارته للأزهر. وعلى الرغم من الأعباء الكبيرة التى كان يحملها فى مباشرته لمشيخة المالكية ومشيخة الأزهر، فإنه ظل يباشر إلقاء دروسه فى الأزهر، كما ظل يباشر التدريس والتصنيف، وقيادة الحركة الإصلاحية بعزم وحزم حتى ظهرت آثارها فى عهده، وحتى أصبح معظم مدرسى الرياضيات فى عصره من علماء الأزهر، بعد أن كادت صلات الأزهر بهذه العلوم تنقطع انقطاعاً تاماً.

ومن أمثلة شجاعته واعتزازه بنفسه: أنه عقب استقالته من منصب شيخ الأزهر فى المرة الأولى سنة ١٩٠٤م. ذهب فى اليوم التالى لعزله إلى الجامع الأزهر، للجلوس فى مقعد التدريس، حيث ألقى درسى التفسير والحديث، اللذين حضرهما نحو خمسمائة عالم، وما لا يحصى من الطلاب.

زيادة مرتبات العلماء:

وعندما اضطربت الأحوال فى الأزهر وكثرت استقالات مشايخه، اضطر ولاة الأمر إلى اللجوء إليه ليعود إلى منصبه شيخاً للأزهر ليعالج هذه الاضطرابات، فاشترط لقبوله أن تقوم الحكومة بإكرام العلماء والطلبة والتوسع فى أرزاقهم، ورد حقوقهم إليهم، فتقرر زيادة مرتبات العلماء عشرة آلاف جنيه سنوياً - وكان الجنيه المصرى وقتها له شأن وكان أضعاف الدولار الأمريكى - توزع بالقسط عليهم. واستطاع أن يحصل من الحكومة على ترخيص يسمح لكل عالم فى أى معهد من المعاهد الأزهرية بالسفر فى قطارات السكك الحديدية بنصف الأجر المقرر. وكذلك الطلبة فى أيام حضورهم للدراسة وانصرافهم فى الأجازات.

وظل الإمام سليم البشرى يكافح ويجاهد فى النهوض بالأزهر الشريف، حتى نال الحظوة لدى السلطان فمنحه «النيشان المجيدى الأول» والوشاح الأكبر «وسام النيل».

وكان من عاداته أن يستيقظ من نومه فى الثلثة صباحاً فيتهجد ما شاء الله له أن

يتهجد، ثم يوقظ حفدته الصغار، فيتناول معهم طعام الإفطار، ثم يلقى عليهم بعض الدروس.

وكان «الإمام سليم البشرى» دائم التصدق بمرتبه، حيث لم يقبض مرتبه فى حياته مرة واحدة، وإنما كان يوكل ذلك إلى من يثق به، ويطلب منه أن يتصدق به على بعض الأسر الفقيرة.

وتوفى «الشيخ سليم البشرى» عام ١٣٣٥هـ (١٩١٦م) وهو فى التسعين من عمره، بعد أن قام بنهضة إصلاحية تعليمية وعلمية، وخفف أعباء مادية كثيرة عن كواهل العلماء والطلاب.

وقد رثاه شاعر النيل حافظ إبراهيم بقصيدة بليغة مؤثرة منها هذه الأبيات.

أَيُدرى المُسْلِمُونَ بمنْ أصيبُوا ... قد وارَوْا (سَلِيماً) فى التُّراب
هَوَى رُكْنُ الحدِيثِ فأَىُّ قُطْبٍ ... لطُلابِ الحقِيقَة والصَّواب
(موطا مالك) عَزَّ (البخارى) ... ودع لله تعزية (الكتاب)
فما فى الناطِقِين فمُ يُوَفَّى ... عزاء الدين فى هذا المُصاب
قضى الشيخ المحدثُ وهو يملى ... على طُلابِه فَصْلَ الخِطاب
ولم تنقص له التسعون عزماً ... ولا صدته عن درك الطلاب
وما غالت قريحته الليالى ... ولا خانته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا ... عظيم الأجر موفور الثواب(*)

أهم مؤلفاته:

وقد ترك الشيخ جملة مؤلفات معظمها من الحواشي والتقارير على كتب السلف، ومن آثاره:

(*) حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٥٠٤.

- حاشية تحفة الطلاب على شرح رسالة الآداب.
- حاشية على رسالة الشيخ عليش فى التوحيد.
- المقامات السنية فى الرد على القادح فى البعثة النبوية.
- عقود الجمان فى عقائد أهل الإيمان.
- الاستئناس فى بيان الأعلام وأسماء لأجناس.
- شرح نهج البردة لشوقى.

obeikandl.com